أفكار حول معركة كسب العقول: عمليات المعلومات ومكافحة التمرد في الحزام الباشتوني

القائد لاري لوغري، البحرية الأمريكية

توفر العمليات القتالية نوعاً من الراحة الفكرية. فهذا بالنسبة لنا، نحن الممارسين لفنون العسكرية، هو ما نتدرب عليه ونمارسه. وهذا هو الذي طالما فعلناه تاريخياً. أما العمليات غير الفتاكة، والاقتصادية، والعمليات الحكومية المعتمدة على التنمية فهي أقل شيوعاً وتوفر قدراً أقل من الراحة. فالنتائج غير واضحة والتقدم يحدث تدريجياً، وثمة صيحة مشتركة، سواء من جانب المنتقدين أو من نقاشنا الداخلي، وهو "هذا ليس مسارنا". وإذا نحّينا جانباً النقاش بشأن من يجب أن "يمتلك" ويمول تلك العمليات، ندرك أن الحقيقة تتمثل في أنه في حالة مكافحة التمرد في شرق أفغانستان، وقع النصيب الأكبر من النشاط غير المميت على عاتق الجيش. إننا موجودون هناك على الأرض بأفراد ودعم تنظيمي وموارد. إن الجيش يستطيع أن يخوض حرباً لمكافحة التمرد. ومع ذلك، فإن الخبرة والمهارات التي تتمتع بها الوكالات المدنية - رغم أنها ربما كانت أكثر ملائمة لأدوار في الحكم، والتنمية، والتقدم الاقتصادي - ليست بالضرورة متوفرة لهذه الحرب بسبب دواعي الأمن، والعقبات البيروقراطية والسياسية.

إن جوهر مكافحة التمرد يكاد يكون سياسياً 100 بالمائة. فالسياسة تدور بالكامل حول الناس، وفي هذه الحالة ، يكون الناس هم مركز الجاذبية. وهذه المعارك تتطلب فهماً ومهارات إنسانية تتخطى الأداء المريح لنا. فهذه المهارات الإنسانية تتطلب أدوات مختلفة، أدوات يتم تحقيقها من خلال حملة معلومات فعالة، واستخدام ذكي لاستراتيجية تنمية تكون مرتبطة بالخدمات الأساسية، وفهم قوة الاقتصاد لتعديل الصورة العامة الإنسانية على المستوى المحلي، بحيث نأخذ كل قرية على حدة.[1] إن الأمن هو الذي يضع استراتيجية التعامل مع التمرد، ولكن هذا المجهود يضيع هباء بدون وجود الوسائل الملائمة، والآليات، والمؤسسات التي تربط الناس بحكومتهم وتفصلهم عن المتمردين. هذه

استكمل القائد لاري لوغري، من البحرية الأمريكية مهمته كقائد لفريق إعادة اعمار منطقة أسد أباد بإقليم كونار في أفغانستان. وهو ضابط حاصل على تدريب نووي في الحرب البرية. وقد خدم في المهام المعاونة لعملية عاصفة الصحراء، وفي عمليات الأمم المتحدة في كوسوفو، وعمليات الاعتراض البحرية في شمال الخليج العربي، وعمليتي المراقبة الجنوبية والحرية المستدامة. وهو حاصل على بكالوريوس من الأكاديمية البحرية الأمريكية ودرجتي ماجستير في الإدارة العامة والعلوم السياسية من جامعة إقليم نورث كارولاينا وجامعة ديوك، بالإضافة إلى درجة ماجستير في السياسة العامة الدولية من كلية إيليوت للشؤون الدولية بجامعة جورج واشنطن. وهو يشغل حاليا منصب الضابط القائد ليو إس إس ميسا فيرد (LPD 19).

الوسائل الملائمة، والآليات، والمؤسسات هي بمثابة مجال جديد للقوات التقليدية، مجال يتناسب تماماً مع مجال العمليات غير الفتاكة.

من خلال العمل جنباً إلى جنب مع وحدات المناورات، تركز فرق إعادة الاعمار الإقليمي جهودها على إدارة الحكم بعيداً عن العمليات الفتاكة والخطوط الاقتصادية للعملية. وبعض فرق إعادة الاعمار الإقليمي تشترك في القتال؛ ولكن البعض الآخر لا يحتاج لذلك. وتركز بعض فرق إعادة الاعمار الإقليمي جهودها على مكافحة التمرد النشط؛ بينما يعمل البعض الآخر في اتجاه نطاق عمليات الاستقرار. وتدمج فرق إعادة الاعمار الإقليمي رسمياً جهود وزارة الخارجية الأمريكية، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، ووزارة الزراعة، والجهود العسكرية. وتندرج فرق إعادة الاعمار الإقليمي تحت بنية قيادة الفرق القتالية للألوية وترتبط مباشرة بالجهود والتقارير الجارية فيما بين الوكالات. وهي تعمل غالباً كنقطة دخول مستساغة للمجتمع الدولي والمنظمات غير الحكومية على المستوى المحلي. وقد تبدو بالنسبة لأولئك الذين تعودوا على وحدة القيادة الصارمة غير مرتبة من الناحية التنظيمية عند الضرورة. فليس هناك فريقان من فرق إعادة الاعمار الإقليمي متماثلين. ذلك أن فرق إعادة الاعمار الإقليمي مصممة جيداً لكي تعمل في مجال عمليات المعلومات، نظراً لأنها محلية، ومطلعة، وتعمل على أرض الواقع، ووثيقة الصلة بالحكومة على مستوى الأقاليم والمستوى المحلي.

تماثل المهارات الإنسانية المحلية

تتصف عمليات المعلومات الجيدة بأنها صعبة. ونحن نحاول غالباً إجراءها في بيئة غير واضحة تماماً لفهمنا. أحياناً يبدو الأمر وكأننا "نقامر" على طاولة لعب الورق.

(التقط صورة فيلق مشاة البحرية الأمريكية رقيب أول ويليام غريسون)

صورة: ملازم أول مايكل كوبر من فيلق مشاة البحرية الأمريكية، مع الكتيبة الأولى، الفوج البحري الخامس، يتحدث مع رجل أفغاني أثناء دورية لمجموعة شؤون مدنية في منطقة ناوا بإقليم هيلماند بأفغانستان، 19 تموز/ يوليو 2009 يتحدث كوبر مع مواطنين لكي يقيس احتياجات الجماهير وينقل المعلومات للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

فبعض أفضل لاعبي البوكر في العالم هم أولئك الذين نشأوا في ساحات معارك التمرد الحديثة. ذلك أن أهالي المناطق المحلية يطورون مهارات للبقاء. إنهم يطورون القدرة على الموازنة بين مطالب المتمردين الموجودين بينهم وتربطهم صلة بالعائلة والقبيلة الرافضة لمكاسب محتملة من خلال العمل مع الحكومة، وبين قوات التحالف التي تجلب الموارد والتعليم والرعاية الصحية والفرصة الاقتصادية.

لا أستطيع أن أؤكد بما فيه الكفاية على تعبير "الفرصة الاقتصادية". ففي لعبة بوكر مكافحة التمرد، ثمة إغراء للمقاولين المرافقين للقوات الذين يرغبون في توسيع نطاق عالمهم الاقتصادي والصعود درجتين على سلم احتياجات ماسلو يتمثل في ورقة يحسن استخدامها. وفرصة كسب عمل هي العامل المغيّر للعبة، لأنها تلمس الحوافز الاجتماعية والاقتصادية الأساسية التي تدفع السلوك. وبينما يعيش السكان الذين يخضعون لنفوذ المتمردين في حالة خوف نتيجة الافتقار للأمان، فإنه يتعين عليهم أن يلعبوا في منطقة الوسط حتى يظلوا أحياء. هؤلاء السكان يعرفون تسديد الأهداف أكثر مما نعلم، ويفهمون اللعبة. ومع التسليم بحقيقة أنها لعبة فتاكة يتم لعبُها وسط أعلى قدر من المخاطر، إلا أن هذا لا يحول دون الحاجة لخوض هذه اللعبة، والإبقاء على مقعد أمام الطاولة، ومعرفة متى تحجم، ومتى تقلب الورق، ثم تلعب الورق الصحيح. إن المفتاح يكمن في فصل خطوط الالتحام، والتمايل نحو الوسط، واللعب على الهوامش.

إذا كنت ساذجا بشأن قواعد اللعبة، وإذا لم تكن تتوقع «أن تلعب»، فربما تفقد مقعدك على طاولة البوكر هذه. فنحن الأمريكيين نعتقد بالغريزة أننا

الرقيب إيفان بارلان من فيلق مشاة البحرية الأمريكية

النقيب برينت مولاسكي من مشاة البحرية الأمريكية، ضابط عمليات المعلومات مكلف في لواء حملة مشاة البحرية بأفغانستان، يقوم بتوفير الأمن أثناء دورية في منطقة بالقرب من كانيشين بأفغانستان، 12 كانون الأول/ ديسمبر 2009.

وكيل عريف جون إم ماكال، فيلق مشاة البحرية الأمريكية

العريف جيري ويكيسر من مشاة البحرية الأمريكية يجمع معلومات من أفغان محليين أثناء دورية في منطقة ناوا، بإقليم هيلماند بأفغانستان 8 أيلول/ سبتمبر 2009.

نمتلك العلاج السحري لجميع مشاكل العالم الخطيرة. وهذه الغطرسة لاشك أنها تعيقنا. فنحن نادراً ما نعي كيف نمارس نوعاً من الصبر التكتيكي، وتعودنا ألا نبطئ من سرعتنا لكي نسمع. ذلك أن الشراكة الحقة مع المجتمعات المحلية والزعماء الدينيين والحكوميين تتطلب قدراً كبيراً من الاستماع. ولاشك أن الطبيعة المحلية المكثفة لحالة التمرد هذه تتطلب ردوداً محلية. وأفغانستان هي مزيج من كيانات محلية، وليست منطقة متجانسة يمكن فيها تطبيق مجموعة من القواعد. ومن ثم فإن اللامركزية وعدم تجميع الجهود هما مفتاحا النجاح. أما وضع سياسات تفشل في معرفة الحساسيات المحلية أو تنتبه إلى الأصوات المحلية، فهي سياسات غير منتجة. إن الأمريكيين، على ما يبدو، معدّون سلفاً لحل «المشاكل» التي يتصورونها - مستثنين غالباً أولئك الذين يعرفون أفضل منهم ولديهم معرفة محلية وفهم محلي. وبسبب افتقارنا للمعرفة الكافية، والفهم الثقافي، فإننا نعتمد على متطلبات الأمن في الوقت الذي ننسى فيه أن نسمع أو نرى اللاعبين الآخرين في اللعبة. وهذا الإهمال، بصراحة، يزداد سوءاً كلما صعدنا في التسلسل القيادي، لأن متطلبات الأمن تستبعد المزيد والمزيد من الآراء الأفغانية التي يمكن أن تنطوي على أهمية. ولذا نرى أن صانعي القرار يتخذون قراراتهم وقد صمّوا آذانهم أمام الأصوات المحلية والمنطق المحلي.

التعامل مع مجتمع معقد

ليس معنى أن القرويين الذين يعيشون عيشة بسيطة في واد جبلي ناء أنهم بسطاء. فأهل الباشتون في شرق أفغانستان، كغيرهم من الناس جميعاً، على درجة من الحنكة والتحضر أكبر بكثير مما نعتقد نحن بغطرستنا. ومن ثم فإن رسائل عمليات المعلومات لابد أن تعكس مدى حدة الذهن والتحضر

عند الجماهير، وأن يتم وضعها ببراعة وتسلم خالية من البلاهة المعيقة التي نستخدمها نحن الأمريكيين عادة. إن السكان - مركز الجاذبية - لديهم قدر من الفهم عن اللاعبين، والمخاطر، وتحركات المتمردين أكبر مما لدى قوات مكافحة التمرد.

لقد كان برنامج التطعيم ضد شلل الأطفال الذي نظمته منظمة الصحة العالمية عملية معلومات ناجحة لم تكن قوات التحالف لتستطيع القيام بها وحدها. كنت أنا وحاكم إقليم كونار متخوفين من أن يرفض الناس برنامج التطعيم ضد شلل الأطفال مثلما حدث في ولايتي هيلماند وقندهار، وهما أيضاً من المناطق التي تتركز بها كثافة باشتونية. فهناك، استطاعت طالبان نشر شائعات ترددت كثيراً في أجزاء من إفريقيا بأن برنامج التطعيم ضد شلل الأطفال هو «برنامج تعقيم صهيوني»، وأن تطبيقه مرّ بمصاعب خطيرة. وأدركنا على الفور أن الحل لابد أن يكون أفغانياً، وأنه ينبغي علينا أن نعرف أن أي شخص ضد برنامج التطعيم لمكافحة شلل الأطفال إنما هو ضد أطفال كونار. وشن حاكم الإقليم ومدير الصحة العامة حملة توعية عامة، ضمت الزعماء من كافة مستويات النفوذ. واستخدم الحاكم مصداقيته ضد ادعاءات طالبان، وحقق نجاحاً. ومن ثم اختارت طالبان أن تدعم البرنامج في صمت، وتم تطعيم آلاف الأطفال ضد المرض. لقد كان الحل الأفغاني متميزاً بذكاء، وغير رسمي، وفعالاً.

هذا ليس معناه أن كل الأصوات الأفغانية متساوية في تأثيرها. وليس كل أفغاني مؤهلاً أو محترماً أو متعلماً على نحو متساو. لقد تعودنا على أن "نقع في حب الشخص الذي يتحدث الإنجليزية"، ونسينا أن أكثر الأشخاص احتراماً في مجتمع أفغاني ربما لا يكونون شغوفين بالتحدث معنا، ومما لا شك فيه أنهم اكتسبوا بعضاً من مصداقيتهم المحلية من خلال استقلالهم. وعندما نتعامل مع الشخص غير المناسب - سواء كان متعاقداً محتالاً، أو شخصية مثار شبهات، أو رئيساً غير مناسب لمجلس شورى القرية، أو مسؤولاً حكومياً غارقاً في الفساد - فإننا نبعث بإشارات تسهم في تكوين تصورات سلبية. وهذه التصورات السلبية تقوض شرعيتنا وشرعية الحكومة. أما حين نتعامل مع عضو يتمتع باحترام داخل مجتمعه، فإن ذلك ينعكس بشكل جيد علينا، وعلى المجتمع، وعلى الحكومة. إن الثقة تُكتسب عن طريق الوقت والأداء، ونعم، عن طريق المشاركة في تناول أكواب الشاي.

العلاقات والجمهور المستهدف

بالنسبة للأفغان، يتمحور كل شيء حول العلاقات. ففي إقليم كونار، كان يتعين على فرق إعادة الاعمار الإقليمي وقوات المناورات أن تكون في توافق مع ثلاثة مراكز محلية ذات نفوذ - سلطات القبائل، السلطات الدينية، ومسؤولي الحكومة.[2] وتضمين مجموعة بعينها يمكن أن يعني بشكل أوتوماتيكياً حرماناً لمجموعة أخرى. فكل مجموعة لديها معلومات يمكن تقاسمها، وقضايا مهمة بالنسبة لها، وعالم من التأثير والنفوذ مع الناس. والعلاقات أمر بالغ الأهمية، ويجب التعامل معها بشكل مناسب.

مخاوف المواطن العادي في يوم عادي يجب أن تكون هي الأساس لحملة عمليات المعلومات.

إن كسب معركة العقول يتضمن فهم أي نوع من الآليات يجب أن تستخدم لإرسال الرسالة المرغوبة للمنطقة المستهدفة. والناس غالباً ما يرون الرسالة

الأولى التي يتلقونها على أنها الحقيقة. ولذا فإن السيطرة على المضمون وسرعة تدفق المعلومات أمر مهم بالنسبة للجانبين في حالة التمرد. وعادة ما تكون السيطرة أصعب في مكافحة التمرد لأن المتمردين يخلقون أحداثاً تصنع الأخبار. كذلك فإن القدرة المحدودة على الوصول تكبح سيطرة نطاق المعلومات على مكافحة التمرد. إن الرسائل الشفهية والرسائل التي تسمع في خطب الجمعة تنتقل بشكل أسرع وأعمق إلى المناطق المعزولة من الرسائل التي تبث عبر الأثير. وما من شك في أن مصداقية المرسِل لها أهميتها أكثر من أي شيء آخر. وارتفاع معدلات الأمية في المناطق الريفية والقبلية - مع وجود عدد قليل من أجهزة الراديو والتليفزيون - يعني أن الرسائل تنتقل عن طريق الحكي وتناقل الأحاديث. ولذا تتعرض الحكايات للمبالغة، ولتفسيرات تدعمها الخرافات، والصور النمطية الثقافية، وتشويه المعلومات. ونظريات المؤامرة تنتشر بشكل واسع النطاق (تماماً كما يحدث في قطاع أنصاف المتعلمين بالمجتمع في أمريكا). وفي المناطق الريفية يتواصل الملالي المحليون، وزعماء القبائل، وشيوخ القرى مع القطاع الأوسع من الجماهير ويتمتعون بأعلى قدر من الشرعية. وهؤلاء الزعماء غالباً ما يفرضون أفكارهم المنحازة على الناس. وهم أيضاً يتمتعون لديهم بمصداقية ليست لدينا.

التوتر المتعلق بالحقيقة - إمكانية التعرض للانتقاد

ينعم المتمردون دائماً بمزايا غير متماثلة. والحقيقة بالنسبة لهم خيار. وهذا يعني أنهم يستطيعون دوماً أن يحرزوا سبقاً بحكايتهم لتسويقها. مثال على ذلك، التقارير عن الخسائر المدنية - فالقتلى والمصابون هم دائماً أهلهم. إن ساحة المعركة غالباً ما تتسم بالفوضى، وعادة ما يُفتقد الوضوح بعد أن تضرب الطلقات الأولى أرض المعركة. ويستغرق الأمر غالباً عدة أيام لاسترجاع التفاصيل الكاملة للعمليات التي تقوم بها جماعات في حجم السرايا؛ وربما يستغرق الأمر وقتاً أطول بكثير لمعرفة الخسائر في عملية يشارك فيها أفراد بحجم كتيبة أو أكبر. ففي حالات التمرد التي يشارك فيها أفراد من غير القوات النظامية، عادة ما تكون ادعاءات المتمردين بشأن أعداد القتلى بين المدنيين خادعة. أما نحن فنعتمد على عدد من المؤشرات التي تشمل نشاط العدو، يدعمها توجيه القائد، وقواعد الاشتباك، والدعم من جانب قوات الاستطلاع، وأخيرا - حكم القادة الذين يتعين عليهم أن يتحملوا القرارات التي يصدرونها. وفي الغالب، نفعل ذلك بشكل صائب، وقليلون هم الذين يقدرون صعوبة هذه المسألة.

يدرك المتمردون أن قوات الجيش الأمريكي تواجه شعوراً عاماً داخل أمريكا أصبح بالغ الحساسية تجاه الضرر المصاحب. وهم يدركون أننا غالباً ما نناضل ضد أحاسيسنا المعنوية وأن كلمات "خسائر بين المدنيين الأبرياء" يمكن أن يكون لها تأثير في تقويض فعالية الجيش أكثر من القتال نفسه.

إذا أخذنا في الاعتبار المزايا غير المتماثلة للعدو، فإنه يتعين على عمليات مكافحة التمرد أن تنقل الحقائق إلى الناس بأسرع ما يمكن وأن تأخذ وقتها أيضاً لتحصل على الحقائق بشكل سليم. إننا نحدث قدراً من الأذى عندما نضر بمصداقيتنا أكبر مما نحدثه من خلال أي خطأ أو حادث واحد مميت. فالأخطاء سوف تحدث، والحوادث سوف تقع، ونعم، سوف يعقد المتمردون العملية المرصودة من خلال وضعهم أناساً غير مقاتلين في طريق الأذى، ولكن السباق لكسب دورة المعلومات، يجب ألا يتسبب في خسارة دقة المعلومة. فالمصداقية مسألة في منتهى الأهمية. والدقة البالغة هي التي تكسب.

معركة سنغار

في صيف عام 2007 قام عنصر من فصيلة سرية إيبل، الكتيبة الثانية، باللواء 503 مشاة، الفرقة 173 المحمولة جواً بإجراء اختراق في وادي سنغار بإقليم كونار. وكان مقرراً أن يكون الاختراق محدود النطاق والمدة، لتأكيد التواجد وإجراء عمليات تشكيل. وقد كانت معركة كسب عقول الناس حرجة في هذا الوادي، حيث إنه يمثل منطقة ذات تاريخ في تأييد طالبان، ولكنها أظهرت علامات للانفتاح على الحكومة الأفغانية. وقد أدى إنشاء طريق والقيام بمجموعة من المناورات ومشروعات فرق إعادة الاعمار الإقليمي بالمناطق المجاورة إلى تحول الاقتصاد المحلي. إن استراتيجية المشاركة غير الفتاكة، والتي تزامنت مع الدعم النشط والتكامل جرت بشكل جيد في منطقة متأرجحة تتمتع فيها طلبان بوجود قوي. ووقف السكان المستهدفون بين الجانبين حائرين بين مواصلة دعمهم لمقاتلي طالبان، وبين تحويل الدعم، ولو ضمنياً فقط ، نحو الحكومة.

لقد تضمنت العملية التي تم تنظيمها جيداً قوات الجيش الوطني الأفغاني من كتيبة كنداك الثالثة التابعة للواء 201، بالتنسيق مع عناصر من الشرطة الوطنية الأفغانية لأمن الطرق، والدمج بين قوات إطلاق النار وقوات الاستطلاع لدعم الاشتباكات المقررة. وكغيرها من عمليات أخرى كثيرة جيدة التخطيط، لم تنج العملية في أول اشتباك مع العدو - فقد كان العدو في هذه الحالة ضخماً، يشمل قوة لم نكتشفها من مقاتلي طالبان، أكبر بكثير مما تم تقديره من قبل، تم حشدها للقيام لهجوم على قوات التحالف. ومن ثم، دارت اشتباكات عنيفة حامية الوطيس. وسرعان ما تحولت العملية الصغيرة إلى جهد رئيسي لكتيبة.

تعامل مقاتلو طالبان مع عناصر سرية إيبل والجيش الوطني الأفغاني بنيران كثيفة من البيوت في إحدى القرى. واستخدموا المدنيين كدروع بشرية، بل إنهم وضعوا الأطفال على أيديهم وركبهم لاستخدامهم كحاملات لتثبيت وتصويب أسلحتهم. وأشارت تقارير لاحقة إلى حدوث عدة عمليات قتل وحشية في القرية وتصفية حسابات قديمة مع من يُشتبه في تعاملهم مع الحكومة. بعد ذلك شمل تكتيك عمليات المعلومات لطالبان الاتصال بمراسلي وسائل الإعلام المحلية أثناء المعركة للإفادة بوقوع ضحايا بين المدنيين، حتى لو كان أولئك الضحايا من أعضاء طالبان المحليين. في حالة التمرد خارج القوات النظامية أثبت هذا التكتيك أنه كان تكتيكاً فعالاً جعل قوات التحالف تفر على أعقابها.

وإدراكاً منها لقوة ونطاق العملية، أدارت فرق إعادة الاعمار الإقليمي والكتيبة عمليات معلومات متزامنة ومنسقة مع حاكم الإقليم. وسعينا لهزيمة طالبان في دورة الأخبار وإلقاء الضوء على الأعمال الوحشية التي ترتكب. وما من شك في أن حالة التشوش التي عمت ساحة المعركة كانت تعني أن الأمر سيستغرق أياماً حتى نستطيع تقييم التفاصيل النهائية، ولكن لم يكن لدينا أدنى خوف من إذاعة الرواية فيما كانت تتكشف تفاصيلها. ذلك أن لدينا ميزة معنوية، من الناحيتين الأخلاقية والنفسية، مما أعطانا ثقة في قراراتنا بشأن ما نستهدفه. وشعرنا بأنه من الأفضل للناس أن يتم إعلامهم بالمعركة على الفور ومن مصدر أفغاني موثوق. ومن ثم، أجرت فرق إعادة الاعمار الإقليمي اتصالاً سريعاً مع وزارة الدفاع، وانتقل مساعد قائد فيلق الجيش الوطني الأفغاني إلى مدينة أسد أباد عاصمة الإقليم في خلال ساعتين. وعلى الفور عقدنا مؤتمراً صحفياً تم بثه عن طريق الإذاعة والتليفزيون دعمناه بخرائط وتفاصيل متعلقة بالاشتباك، وحرصنا بشكل مستمر على تقديم كل ما يستجد من أخبار للصحافة فيما تتكشف تطورات المعركة، وكنا حريصين على الإبقاء على حوار عام موثوق.

ومن خلال نشاطنا داخل الدورة الإخبارية لطالبان، وضعنا المتمردين في خط الدفاع. ففقدوا ميزة البدء بتقديم رواية. وفي النهاية، كانت معركة عنيفة. فقد قتل جنديان أمريكيان وثمانية جنود أفغان، وأصيب عديد آخرون بجراح، وتوفى عشرة مدنيين. وقتل أيضاً عشرات من مقاتلي طالبان. لقد أدت خسارة معركة المعلومات من قبل إلى تشويه العديد من نجاحاتنا التكتيكية، ولكن هذه لم تكن الحالة في معركة سنغار. فنحن لم ننس المعركة لكسب عقول الناس وسط سخونة المعركة القاتلة. وكللت جهودنا لربط الناس بحكومتهم بالنجاح، على الرغم من أسوأ الظروف التي مررنا بها، وكذلك تحسنت مصداقية الحكومة كصوت للعقل والسلطة في وقت الأزمات. فقد كان هناك شخص ما مسؤولاً.

في واقع الأمر، كان لجهود عمليات المعلومات المحلية أثر أوسع. فقد جذبت المؤتمرات الصحفية الاهتمام القومي، وكانت روايتنا واحدة من عدة تقارير تحدثت عن قيام طالبان عمداً باستهداف المدنيين. وهذا بلا شك أضر بمصداقية طالبان. ومن خلال الاستخدام الأمثل لإجراءات الاسترضاء والتوفيق بعد الضرر المصاحب، يمكن لحملات مكافحة التمرد أن تستمر بكامل قوتها إذا تم التعامل مع الاهتمامات المحلية بشكل عادل. وعلى الرغم من أنه كانت هناك خسائر، إلا أن الحقيقة لم تكن واحدة من تلك الخسائر، وفي الوقت نفسه أعيد تدعيم الثقة في الحكومة.

استهداف الجمهور الفعلي

ثمة خطأ يمكن ارتكابه بسهولة، وهو تركيز عمليات المعلومات على تشويه صورة المتمردين. فذلك من شأنه أن يضيف إلى شرعيتهم. ولذا فإن ما نحتاج إليه هو أن ننقل للناس رواية أفضل وأشمل. وأهم شيء هو أن نفهم مضمون وغرض وتوقيت رسالة المتمردين، ونعطلها أو نستأصلها إلى النقطة التي تصبح فيها غير ذات صلة. وبدلاً من مجرد مواجهة رسالة المتمردين عل نحو خاص، فلابد أن تكون نظرة الجمهور وتصوره جزءاً من سبب وجود الرسالة. هذا ليس وقت الوقوع فريسة في شرك الانفصام الإدراكي - أي عدم القدرة على رؤية وجهات نظر أخرى غير وجهة نظرك. إن عملية تحليل الجمهور المستهدف تفشل إذا كانت مواجهة العدو هي الشغل الشاغل الأساسي. ولذا فإن مخاوف المواطن العادي في يوم عادي هي التي يجب أن تكون الأساس لعملية المعلومات.

لنضرب مثلاً بموضوع ذي صلة، ألا وهو الزراعة. ففي شرقي أفغانستان المعروفة بأرضها الزراعية، تدور نسبة 85 في المائة من الإنتاجية حول الزراعة والحيوانات الداجنة كمورد للرزق. إن الأمن يعني الأمن الغذائي كما يعني الأمن المادي. وما يهم الناس كل يوم هو من أين يأتي طعامهم وأهمية أن يحيوا حياة عادية

...الاحترام والحوار يسيران معاً عبر طريق طويل.

في مجتمع صعب. وهذه المفاهيم كتنوع الخضروات والقدرة على الوصول بشكل أوسع إلى الأسواق هي أمور يومية مهمة بالنسبة للمواطن الأفغاني العادي في الشارع. إن الفقر هو العدو الأول في حالة التمرد هذه. والزراعة هي لغته.

عندما يذيع راديو حملة لعملية معلومات أو إعلانات خدمة عامة تركز بشكل خاص على ذكر الحوادث الناجمة عن العبوات الناسفة المرتجلة، وتعلن عن تقديم مكافآت لمن يدلي بمعلومات عن المتمردين، أو محاولات خرقاء غير بارعة لتشويه صورة المتمردين وتصويرهم على أنهم

أناس أشرار، ستجد أن الجمهور لا يهتم بذلك. هذه الأمور ببساطة ليست هي ما يهم المواطن الأفغاني العادي. وعلى العكس، فإنها تعطي المتمردين "صحافة حرة". لكنك حينما تخبر المواطن كيف ينمّي محصولاً أكبر من القمح في قطعة أرض صغيرة يمتلكها، وتعطيه فرصة للوصول إلى أصناف أكثر تنوعاً من الطعام، أو حينما تخبره عن إقامة جسر يمكّنه من السير إلى السوق، فحينئذ سوف تجتذب اهتمام الجمهور، هذه هي الأشياء التي تهم، وهي أكثر الأمور فعالية في حملة عملية المعلومات.

إن الإسهامات التي قامت بها وزارة الزراعة الأمريكية وفرق التنمية الزراعية التابعة للحرس الوطني في أفغانستان لا يمكن المبالغة فيها. وربما كان لها أكبر الأثر على كل إنسان في أفغانستان. فالمزارعون المحليون الذين يعملون مع ممثلي وزارة الزراعة الأمريكية لتحسين الأوجه الفنية لإنتاجيتهم يستطيعون على الفور زيادة محاصيلهم بنسبة 30 في المائة. ولاشك أن لذلك تأثيراً عظيماً. ولم يعد المزارع لديه فقط ما يكفيه هو وأسرته من طعام - وهو الأمر الذي يهمه في المقام الأول ويشكل أهمية ملحة بالنسبة له - بل أصبح لديه أيضاً فائض من الطعام. والآن صار لديه القدرة على التجارة وشراء وبيع السلع. أما التأثيرات الثانية والثالثة فتقود إلى زيادة الطلبات على السلع في الأسواق المحلية، مما يؤدي إلى تنشيط المزيد من الطلب على الواردات والخدمات، ومكافحة دورة الفقر. ومن خلال إدخال رسالة من هذه النوعية في حملتك لعملية المعلومات، تصبح على صلة بالناس الذين تستهدفهم. وتستطيع أن تظهر ما لا يستطيع المتمردون تقديمه.[3]

آليات التصور والهوية

الهوية مسألة مهمة، ليس فقط بالنسبة للتحليل التجريبي، ولكن أيضاً باعتبارها نقطة انطلاق لإدارة التصورات. ووضع استراتيجية لمكافحة التمرد من داخل حدود الهوية مسألة لها ذكاؤها وجوهرها. فالأفراد، سواء كانوا متمردين، أو مسؤولين حكوميين، أو جنوداً أو ينتمون إلى جماعة سياسية، أو بنية أسرية، أو أمة - دولة، أو جماعة دينية، أو هيئة ثقافية، أو أي تشكيلة من جماعات أخرى. وتفضيلات الجماعات ليست أكثر من تفضيلات متجمعة للأفراد. آلية تحديد الهوية هي العنصر الحاسم في إجراء حملة ناجحة لمكافحة التمرد.

الهوية العرقية في غاية الأهمية للباشتون، وإن كانت ليست للدرجة التي يفترضها الغربيون. ومن المؤكد أن تجربة الجهاد قد سيست الهوية الوطنية للقبائل. ومع ذلك، فهناك حس عميق واضح بالهوية الوطنية، وهو يتجاوز الانتماء القبلي. ومن الممكن وصف أفغانستان بأنها دولة ضعيفة مؤلفة معا بواسطة أمة قوية. إن الهوية العرقية مهمة، لكنها ليست مسببة للخلاف والشقاق بحيث تصبح مسألة حياة أو موت. ولاشك أن عناصر عرف الباشتونوالي هي عناصر محورية لمعظم أوجه الحياة اليومية والتفاعل الاجتماعي. إلا أنك لا تستطيع حقاً أن تفهم الباشتونوالي إلا إذا كنت من الباشتون. ولكي تحاول فهم الباشتون من خلال تعديد خصائصهم هو أمر مشابه لفهم المسيحية عن طريق تعديد فضائل الفيلسوف الإنجليزي جيريمي بينثام الذي عاش في القرن الثامن عشر. فتصنيف العرف الأخلاقي برمته لمجتمع متشابك معقد هي محاولة معقدة. ونظراً لأن مكافحة التمرد يجب أيضاً أن تقلل من تعقيد هذا الواقع لدى مهمة الجندي، فإنه يبدو كافياً أن تفهم فقط هذه الخاصية وسوف يبدأ الحوار لأمد طويل. إن الأفغان يتسمون بالحزم بالصرامة، ويعيشون حياة تتسم بالبساطة، ومن السهل أن تحبهم. ونحن ننفق الكثير من الجهد في محاولة لجعل هذه الحقائق البسيطة أصعب مما يجب أن تكون عليه.

الحكم والتصورات

لابد أن نعطي الحكم فكراً نقدياً واقعياً. ما هذا حقاً؟ هل هي خدمات عامة وسلع؟ هل هو مبنى يعمل به مسؤولون؟ هل هي ديمقراطية وانتخابات نزيهة؟ من المؤكد أن هذه جميعها هي أوجه الحكم. ومع ذلك، إذا نظرنا من خلال عدسات التمرد، نجد أنه يتحول إلى شيء أبسط من ذلك بكثير. الحكم هو فكرة أن يكون شخص ما مسؤولاً. هذا هو أكثر ما يجذب اهتمام الناس، الذين يمثلون مركز الجاذبية. وعلاوة على السياسة وآليات الحكم، يجب أن يعمل خط تركيز «حكمنا» على تشكيل سبل لتعزيز وتدعيم وإضافة الشرعية إلى فكرة أن الحكومة هي المسؤولة.

يتضمن هذا الجهد دخول حيز التصورات وإدارة التصورات، ذلك العالم المتشابك من المشاكل العامة، والتعليم، والرعاية الصحية، والبنية الأساسية، وسيادة القانون. وفي النهاية فإن شرعية الحكومة وتفويضها هي وظيفة الشعب الذي يعرف أن ثمة مهمة توكل لشخص ما لسد الفجوات، والحفاظ على وجود الكهرباء وتدفق الماء، وتوفير الرعاية الصحية والتعليم. شخص ما سوف يصلح النوافذ المكسورة. شخص ما سوف يحافظ على نظافة الشوارع. شخص ما سوف يضمن وجود أجهزة السلامة في مواقع العمل. شخص ما سوف يستجيب للأزمات التي تحدث يومياً. شخص ما يجب أن يكون مسؤولاً. ومن هنا يصبح هدف مكافحة التمرد هو تمكين الحكومة من الاضطلاع بدور أن تكون ذلك «الشخص»، أي اليد الخفية لفرض النظام.

مواجهة الخلافات

ينبغي أن تأخذ حملة عمليات المعلومات في الاعتبار فكرة أن الهوية هي تصور الذات في العلاقة مع الآخرين. ويميل الإنسان عادة إلى أن يصف خصائصه الشخصية بأنها جيدة في حين يصف خصائص جماعة منافسة (أو مختلفة) بأنها سيئة. ويستخدم زعماء المتمردين هويات الجماعات لتعبئة الأتباع وكسب التأييد. وثمة آلية معينة هي خلق "صورة العدو". ذلك أن خلق صورة للعدو من شأنه أن يفي بالاحتياجات الاجتماعية والنفسية للأفراد الذين يشجعون على الاختلافات الاجتماعية حتى في غياب أساس لها. والحاجة للانتماء إلى "جماعة" هي مسألة مشكّلة سلفاً بلغة كل من الهوية الفردية والاجتماعية مع وجود سلسلة من الخصائص والصفات المميزة. وهذه ظاهرة يواجهها الجميع من خارج الحزام الباشتوني.

التحدي الذي يواجه استراتيجية عملياتنا المعلوماتية هو أن مسائل الهوية تمتلك قوة قائمة. ونظراً للمضمون العاطفي الذي يستحضرونه، فليس هناك سوى حافز ضئيل للسعي من أجل الحصول على معلومات موسعة. وتبدو الصور كما لو أنها نوع من الوفاء الذاتي والتدعيم الذاتي. ويستغل زعماء المتمردين وجود هذه الصور لدفع قضيتهم قدماً. فالرمزية والهوية مع "الأشرار المعتادين" هي وسيلة فعالة لتعبئة الدعم الجماهيري لدى المواطنين غير المطلعين على حقيقة الأمور. وما إن تتخذ قضايا الهوية هذه شكلاً معيناً حتى تترسخ بقوة ويعدو من الصعب تغييرها إلا على نحو طفيف لا يتعدى هوامش التصور. وعلى سبيل المثال، نجد أن دلالة تعبير الحرب على الإرهاب توحي في الأفكار والرسائل التي تبثها طالبان بأن حربنا إنما هي حرب على الحضارة الإسلامية. والرموز الدينية والثقافية التي هي محور هذه الحضارة تخلق نقاط حشد خصبة لتهديدات قائمة على أساس الهوية. إن سياسات الهوية هي أداة فعالة لزعماء المتمردين، أداة منيعة إلى حد كبير أمام التأثيرات الفتاكة.

العلاقة بين الهوية والحكم

كيف تقوم العلاقة المتبادلة بين الحكم، والعنف، والهوية، وكيف نربط بين هذه العلاقة واستراتيجية

لعمليات المعلومات؟ ما الذي يفسر الاختلافات بين قبائل الهوتو والتوتسي في أفريقيا الوسطى أو بين أهل الكيبيك والأنغلوفون في كندا؟ إن أفراد كل من المجموعتين لهم هوية قوية مع مجموعتهم، إلا أن حدة العنف كانت كارثية في رواندا بينما لم تكن موجودة في كندا. ذلك أن المفهوم المؤسسي للحكم المستقر والاستقرار السياسي هو الفارق بين البلدين. ففي المجتمعات المستقرة، هناك احتمال أقل لأن تتسبب قضايا الهوية في حدوث عنف. في كندا، نجد أن الهوية مع وجود مفاهيم الدولة المسؤولة والمجتمع المدني تلطف من مسألة الاختلاف اللغوي والثقافي المرتبطة بالهوية والتي يمكن أن تحدث شقاقاً.

إن شرعية الحكومة تصبح قوة تمنع ظهور قضايا الهوية. ويتعلق بهذه النقطة على نحو كبير أفكار ورسائل عمليات المعلومات التي تعزز هذه الحقيقة وتدعم مفهوم "شخص ما مسؤول". وما من شك في أن الحكم في أفغانستان مازال أمامه عدة أميال يخطوها في هذه المحاولة، ولكن أي استراتيجية لعمليات المعلومات تقر بهذه الحقيقة لن تحسن فقط من الشرعية الفعلية والمتصورة للحكومة ولكنها تزيد أيضاً من احتمال أن تصبح هي تلك اليد غير المرئية لفرض النظام التي تؤكد على تطوير المجتمع المدني بالشكل المناسب.

تركيبات القوى التقليدية والرسمية

التصورات الواسعة الانتشار بأن المجتمع الأفغاني مجتمع خارج عن القانون هي مفاهيم خاطئة. فعلى الرغم من العنف والافتقار للمؤسسات المألوفة، فإن المجتمع الأفغاني في الواقع هو مجتمع قائم بشكل كبير على أساس قواعد، ولكن ليس بالشكل الذي يقرّه الغرب. فنحن في الغالب الأعم نطبق تصورنا الخاص عند محاولة فهم الثقافة والمجتمع الأفغاني وكيفية معالجة الأفغان للمعلومات ونقلها إلى حكومتهم.

في المجتمع الأفغاني، تتسم العلاقة بين السلطة الدينية والقبلية بالتعقيد. والآليات التقليدية لحل النزاع تتعايش بصعوبة مع الحكومات المحلية والإقليمية الحديثة نسبياً. وتشعر شخصيات السلطات المحلية بنوع من التشكك إزاء الحكومة وتتوقع أنها ستستخدم القوة على نحو اعتباطي. والملاحظ أن شيوخ القبائل، الذين يسمون ملوك، والملالي الذين يشكلون هذه الشبكة غير الرسمية المؤسسة جيداً موالون لقبيلتهم الخاصة، وللقبيلة الفرعية، أو الجماعة العرقية، ويعتمد مدى سلطتهم الفردية إلى حد كبير على هويات هذه الجماعات.

المواطن الأفغاني العادي لديه تعريف مختلف بشأن "الخدمات الأساسية" ولا يتطلع بالضرورة للحكومة لتقديم تلك الخدمات.[4] فهو لا يثق في الحكومة الوطنية ومظاهرها المحلية بناء على العديد من خبراته الماضية مع حكومة تنهبه ويعتبرها قوة معطلة.

الدرجة التي يمكن عندها للسلطات التقليدية أن تحتفظ بقوتها واستمرارها داخل إحدى جماعات الهوية في الوقت الذي توفق فيه بين ذلك وبين المؤسسات الحكومية المحلية والإقليمية هي الدرجة الحرجة لإدارة الأمور بذكاء وبفارق ضئيل لا يكاد يُدرك. والفشل في فهم تركيبات القواعد، والحوافز، والهياكل المؤسساتية التي يوجد تحتها هذا المجتمع المتشابك المعقد من شأنه أن يسفر عن استراتيجية فاشلة لمكافحة التمرد. والتقدم في العملية دون هذا الفهم بشكل سريع يؤدي إلى طريق يُنتهك فيه مبدأ "عدم إلحاق الأذى". إن البرامج والخطط التي تدعم توسيع نطاق الحكومة الفعالة والشرعية لتوفير الخدمات الأساسية ربما لا يكون لها التأثير المتوقع وقد تؤدي إلى سوء التواصل والافتقار للثقة. وفي بعض الحالات، يؤدي سوء الفهم إلى عداوة تامة.

تحليل التعرض للسقوط الحرج

يدرك الممارسون الحكماء أن أكثر الاستخدامات فعالية لعمليات المعلومات هي تلك المتصلة بتحليل التعرض للسقوط الحرج وليس مجرد الرد على إجراء للعدو. وإمكانيات التعرض للسقوط الحرج قد تكون أيديولوجية أو تكتيكية أو حتى لوجيستية (الحاجة لدعم عبر الحدود لإعادة الإمداد والملاذ الآمن). ومن الممكن أن تشمل آليات الهوية المحلية والدخول في المجتمعات القبلية. ويسمح تحليل التعرض للسقوط الحرج بعمليات معلوماتية هجومية، وهي أداة فعالة من مجموعة أدوات غير فتاكة.

الحاجة للمال، والمعدات، والملاذ الآمن تعد من إمكانيات التعرض للسقوط الحرج لجماعات معينة من المتمردين. لابد لهم من "بيع" النجاحات لمرضيهم من أجل استمرار حصولهم على دعم لوجيستي، والإقرار المصاحب بجهودهم، وهذا يمكن مهاجمته. وإذا كان هناك عنصر متمرد يتم إحباط هجماته بشكل روتيني، ويتم العثور على عبوات ناسفة مرتجلة خاصة به وإبطال فعاليتها، ولا يمتلك شريط فيديو لتوثيق هجماته بنجاح، فمن غير المحتمل أن يتم مكافأة مقاتليه بمزيد من الموارد. وعلى الجانب الآخر، فإن جماعات المتمردين التي يمكن أن تشير إلى شرائط فيديو لتفجيرات ناجحة باستخدام عبوة ناسفة مرتجلة، والاشتباك مع قوات مكافحة التمرد، وأحداث أخرى لإثبات نجاحها سوف تتلقى دعماً مستمراً. والمهمة الرئيسية هي وقف نشاط المتمردين الذين يتوقف دعمهم على الناس. وكما يولد النجاح نجاحاً آخر، أيضاً يولد الفشل فشلاً آخر. ففي كل مرة تتراجع مجموعة من المتمردين إلى ملاذها الآمن لإعادة التسلح والإمداد لأنها لا تستطيع الاعتماد على الدعم المحلي، يعد ذلك نجاحاً لمكافحة التمرد. ويبدأ المتمرد في مواجهة مشاكل خطيرة متزايدة تتعلق بصورته فيما يناضل من أجل النتائج. وتجد حملة عمليات معلوماتية ناضجة سبلها نحو مهاجمة هذا الصدع من خلال تسليط الضوء على نقاط ضعف وفشل المتمردين.

وثمة شكل آخر من أشكال التعرض للسقوط الحرج لحركة التمرد يتمثل في عدم القدرة على تقديم الخدمات الحكومية الأساسية. فبينما يوجه القضاة الشرعيون (قضاة الشريعة) بعض النداءات، لا تستطيع طالبان بناء مدارس، أو توفير خدمات الرعاية الصحية، أو شق طرق أو تشييد جسور بواسطة العمالة المحلية، أو توفير سلع لتلبية الاحتياجات الأساسية للناس، أو ضمان التنمية الاقتصادية والاجتماعية. هذه هي مزيتنا غير المتماثلة، ومع ذلك فكثيراً ما نخفق في الإقرار بهذا الجانب كأحد أوجه التعرض للسقوط الحرج لطالبان. إنه بالفعل كذلك، وينبغي علينا أن نهاجمه بإدارة التصور وعمليات توظيف المعلومات بالإضافة إلى القرميد والملاط المستخدم في المشروعات ذاتها.

التنظيم من أجل النجاح

نحن غالباً ما نكون أعداء أنفسنا عندما يتعلق الأمر بتنظيم وهيكلة منظماتنا للقتال في معركة عمليات المعلومات. يجب أن تكون معركة العمليات المعلوماتية مرنة، وجيدة التخطيط، ومتواصلة، ومحلية. وببساطة، كثيراً ما كانت البنى القيادية التي نعمل تحتها غير قادرة على ذلك. فالمركزية تحول دون الاستجابة. ورغم أننا نتحدث عن ذلك بشكل روتيني إلا أن التنفيذ الفعلي للامركزية أمر نادر. إننا نعتمد على البنى التراثية، والعقيدة التراثية، والمنظمات التراثية لتطبيق عمليات المعلومات. وتقوم الشؤون العامة وعمليات دعم المعلومات العسكرية بتنظيم المهام وتحديد الأدوار، والمسؤوليات، والموارد، والبرامج للجماعات المتباينة التي تعمل جميعها في مجال المعلومات. غير أن إدارة الرسائل، وتوفير المعلومات،

وخوض معركة العقول ضد العدو من أجل السكان ليست أنشطة متباينة. هناك تعاون طبيعي بينها. ومع ذلك فإننا، في أحيان كثيرة جداً، نتعامل معها باعتبارها أنشطة متباينة لأننا تعلقنا بأنبوب الموقد التراثي. وهذا يجعلنا نتخلى عن مزيّتنا التكنولوجية، والتكتيكية، والمعنوية للعدو.

المفتاح الرئيسي للتغلب على الحواجز البيروقراطية والمؤسساتية التي تمنع التعاون هي القيادة التنظيمية. ومن المؤكد أن هناك أسباباً سياسية وقانونية للإبقاء على الفصل بين منظمات عمليات المعلومات، ولكن ليس للحد الذي لا تعلم فيه اليد ما تفعله اليد الأخرى. إن التفاعل داخل الدورة الإخبارية للعدو لتحقيق الإبداع وإقامة نظام رسائل فعال يتطلب تنظيماً ثابتاً، موهوباً، جيد التمويل، وسريع الاستجابة. إنه يتطلب قادة يمنعون تسفيه مراقبة العاملين، والمراجعات القانونية، وإعادة التفكير والتخمين. يجب علينا أن نقوّي شوكة القادة «الواعين» وأن نعطيهم الأدوات، والموارد، وحرية المناورة لكي يتصرفوا محلياً وبشكل يتسم بالاستجابة، عبر كافة المستويات العملياتية بدءاً من قائد الفريق وحتى قائد الكتيبة.[5]

ملاحظات ودروس مستفادة

توجه العمليات التقليدية بدرجة كبيرة إلى التخلص من القوة والخدمة على أساس عقيدة راسخة. أما عقلية مكافحة التمرد فهي بطبيعتها الخاصة تقع خارج صندوق العقيدة العسكرية. إن الإعداد لاستخبارات مكافحة التمرد عملية معقدة. ومفاهيم الإرادة، والولاء، والحافز ليس من السهل تحليلها أو قياسها.[6] فطلقات الرصاص والقنابل تنتج تأثيراً مباشراً. أما التأثيرات غير الفتاكة فقد لا تشبع الحاجة للفورية، ولكن من الممكن أن يكون لها تأثير استراتيجي، بعيد المدى ومستديم. إن عمليات المعلومات يمكن أن يكون لها تأثير عظيم في "إخماد روح العدو" وجعله غير ذي صلة بما يدور.[7] ولابد أن تكون حملة عمليات المعلومات المتواصلة والمُحكمة والعليمة في محور استراتيجية مكافحة التمرد في أفغانستان، وأن يعمل جوهر هذه الاستراتيجية على تعزيز اليد المختبئة للحكومة التي تقدم الخدمات الأساسية، بما يضمن الأمن على المدى الطويل.

مكافحة التمرد وعمليات المعلومات هي ألعاب الرجل المفكر. كل منظمة ومؤسسة لها مواهبها، ومفكروها ومبدعوها. عامل الرجل المفكر على أنه مورد، وانشر هذا المورد بطريقة ملائمة. ضع أفضل عقولك في هذه المشاكل المعقدة. هذا ليس مجال الملتزمين المتبلدي الحس المربوطين إلى تراث أنابيب المواقد أو أولئك الذين لا يستطيعون التفكير خارج نطاق العقيدة لكي يطوروا حلولاً مفصلة ذات صلة بالواقع المحلي.

أهمية الزراعة. الوجود الجيد لوزارة الزراعة الأمريكية متمثلا في تدريب وتوفير النصح للمزارعين وبرامج تابعة لهيئة المعونة الأمريكية يمكن تطبيقها على نحو ملائم له تأثير مماثل لتأثير كتيبة مشاة فيما يتعلق بتأمين الاستقرار. لابد من إدخال برامج ناجحة للزراعة والتدجين قبل وفي وسط حملة عمليات المعلومات.

بناء الحكم يستغرق وقتاً. تعالج خطوط جهد الحكم والتنمية بعضاً من أصعب وأخطر المشاكل في الإنسانية.[8] ولاشك أن هذه الخطوط لها وجهات نظر، وجداول زمنية، وتحديات تختلف اختلافا جذرياً عن خطوط الأمن في العملية. ونحن نحاول بشكل جوهري تعديل التوقعات على المدى البعيد فيما يتعلق بدور الحكومة في المجتمع. يتعين على القادة أن يقبلوا بجدول زمني بعيد المدى مع تحسينات هامشية، وليس انتصارات سريعة. فالمكاسب سوف تأتي تدريجياً بطبيعة الحال. وعندما تشير تقارير الحكم والتنمية إلى أن الأمور تسير على نحو جيد، يجب على القائد حينئذ أن يتوخى الحذر إزاء التقييمات التي قد تكون مبالغة في التفاؤل.

كن محنكاً فيما يتم قياسه. الحنكة في اختيار وحدات القياس التي سيتم بها قياس البرامج والمبادرات مسألة بالغة الأهمية. احترس من وحدات القياس في عمليات مكافحة التمرد. أو كن مستعداً لتكريس موارد ضخمة للحصول على قياسات صحيحة. إن وحدات القياس يمكن أن تقود السلوك وتؤدي إلى حلول عند البحث في مشكلة ما. وقد تبالغ في تبسيط ديناميكيات معقدة وتحول الطاقة والموارد من حل مشكلة إلى جمع بيانات وحزم معلومات. وعلى سبيل المثال، حساب عدد الهجمات في إقليم أو منطقة هو إجراء بسيط غير معقد. أما السعر النسبي واتجاهات الأسعار الخاصة بالبندقية AK-47 في السوق المفتوح بمتاجر السلاح بالقرب من بيشاور فهو إجراء أكثر حنكة وتعقيداً.

التقدم يأتي تدريجيا، ولهذا فهو ليس مغرياً. بعض الوحدات القتالية في الخط الرئيسي تعتنق التأثيرات غير الفتاكة. والبعض الآخر لا يعتنق هذه الفكرة. من الصعب أن تظهر التقدم أثناء جولة واحدة من الخدمة. تقارير «التأثيرات» غير الفتاكة تشير إلى أن الأمور تسير بشكل جيد، ولكن إجراءات الفعالية تواجه مشاكل، وتفتقد الجوهر عند ربطها بعلوم المناهج المستمدة من البيانات والمعتمدة على التأثير. وكذلك بالإجراءات القصيرة الأجل. ينبغي علينا أن نتعلم أن نقبل - كما يفعل عالم السياسة العامة - أن التقدم التدريجي نحو الصالح المعلوم هو الواقعية عند التعامل مع «المشاكل الخطرة» للإنسانية.

بناء قدرة أفغانية لمكافحة التمرد. الأفغان أنفسهم مصدر ثمين مهم يتم إغفاله غالباً في معركة كسب عقول السكان.[9] ونحن أيضاً نادراً ما نشرك أولئك الذين ينتمون لذلك البلد في التخطيط لعمليات المعلومات. لابد من إنشاء وتطوير قدرة أساسية للشؤون المدنية في قوات الأمن الوطني الأفغانية. ولابد من تدريب وتمكين عمليات معلوماتية مركزية أفغانية وبرامج تتواصل مع المجتمع.[10]

الأمر يستلزم ما هو أكثر من خلية للشؤون المدنية. إن إلقاء كل «ما يرتبط بالتنمية» في «مسار» مجموعة الشؤون المدنية من شأنه أن يزيل أداة مهمة من أدوات مكافحة التمرد من الجهد الرئيسي، وهو أمر غير أمين من الناحية الفكرية. لابد من نشر المواهب التنظيمية في المواقع التي يبلغ تأثيرها مداه.

الفهم المحلي يتطلب وجوداً محلياً. إن التواجد داخل عقل العدو وفهم عقول الناس أمر بالغ الصعوبة لا يمكن تحقيقه إلا إذا قضى الإنسان وقتاً طويلاً خارج الأسلاك حيث يوجد الناس. كثير من الغربيين يقصرون اتصالاتهم بالأفغان على أولئك الذين يعملون في القواعد، ومن ثم يشكلون آراء مشوهة على أساس هذا التعرض المحدود.

إنها تكمن في الأداء. هناك الكثير من الأمثلة الواضحة على ضعف أداء تحليل الجمهور المستهدف. ولاشك في أن المشكلة تتمثل في التفاصيل، وهذه التفاصيل يمكن أن تجرح مشاعر الجمهور إذا تم تناولها بشكل غير مناسب. لابد من الامتثال لمبادئ المعرفة الثقافية المتعمقة والشرعية المحلية. أما عمليات المعلومات السيئة فإنها تساعد العدو.

عملياتنا المعلوماتية غالباً ما تكون ساذجة وغير متقنة. كما ذكرنا سلفاً، فإننا كثيراً ما ننسى جمهورنا ولا نعطيه حقه بما يكفي؛ أو ما هو أسوأ، نستهدف الجمهور الخطأ. تذكر، ليس معنى أن الناس يعيشون حياة بسيطة أنهم بسطاء. ركز استراتيجية إدارة المعلومات على ما يهم الناس ولا تعطي فرصاً وثيقة الصلة دون قصد للعدو.

اسع للحصول على رأي محلي. لا تنشر مواد عملية المعلومات أو عمليات دعم المعلومات العسكرية دون مراجعة أمينة مع أفغان من المنطقة. وجه لهم أسئلة،

ناثنيال كالدون كبير الطيارين، سلاح الطيران الأمريكي

جنود أمريكيون مع فريق زابل لإعادة الاعمار الإقليمي ومسؤولين من الحكومة الأفغانية يعقدون مجلسا للشورى مع شيوخ قرية في منطقة قالات بإقليم زابل، أفغانستان، 21 تموز/ يوليو 2010.

وأنت مدرك بأنك ستحصل غالباً على إجابة لما «يعتقدون أنك تريد سماعه». عليك أن تجتاز ذلك واحصل على تقييم صريح وأمين.

استخدم صوتاً موثوقاً. أفضل عمليات المعلومات تأتي من أفغان يتمتعون بالاحترام ولهم مصداقية على المستوى المحلي، وليس من قوات التحالف. أقلع عن عادة أن تقع أسير حب الشخص الذي يتحدث الإنجليزية وتعامل مع أفراد المجتمع المحلي الذين يتمتعون بالاحترام.

أهمية العلاقات. المناوبات تفاقم من تحديات بناء العلاقات. فنحن دائماً إما قادمون أو ذاهبون قبل أن نكتسب معرفة متعمقة بالثقافة المحلية. إن خطوط الحكم والاقتصاد تتطلب خبرة مكتسبة من خلال الدراسة، والملاحظة، والعلاقات مع الزعماء المحليين الذين يعرفون احتياجات الناس.

تعلم أن تستمع وتشرب الشاي. افهم كيف أننا نحن الأمريكيين نساهم في المشكلة عندما نشمّر فوراً عن سواعدنا لكي نبدأ في إصلاح شيء ما، بدلاً من أن نسأل أولاً أسئلة ذكية وندرك أننا في نوع من المفاوضة. المعلومات الملائمة عن الشارع الباشتوني لا تكتسب من خلال الإفادات والتقارير ولكن من خلال الأحاديث المحلية. الإجراء الوحيد الفعال الذي يهم حقيقة في عملية المعلومات هو ما يعتقده السكان المحليون. تعلم أن تستمع وتشرب كثيراً من الشاي.

الشورى عملية متكاملة. يعيش الأفغان في مجتمع تصالحي قائم على الإجماع. ونادراً ما ترى خلافاً على الملأ أمام أعين الغربيين، كما أنك لا ترى القرارات التي يتم التوصل إليها داخل مجلس الشورى، على الأقل بالمعنى الذي تعودنا عليه. إن جيشنا مكون من أناس موجهين بالنتائج من «النوع أ». ونحن نخلط بين مفهوم الشورى ومفهوم

الاجتماع. إنهما ليسا نفس الشيء، ومع ذلك فإن الشورى هي الطريقة الأفغانية. إنها عملية متكاملة. فالقرارات - حتى مع أنها صادرة من زعماء أقوياء - نادراً ما تكون قرارات منفردة. بل إنها تأخذ شكلا من خلال نظام معقد من المشاورات الرسمية وغير الرسمية. وأكثر الزعماء احتراماً ليسوا هم أولئك الذين يعدون بالنتائج، ولكنهم أولئك الذين يتوسطون في حل النزاعات. وكلما كان حل النزاع أصعب، كان كسب المصداقية أعظم. والقائد العسكري الذي ينسحب من «اجتماع» معتقداً أنه توصل إلى حل منفرد يكون قائداً ساذجاً وربما أبلغوه بما يود أن يسمعه.

تطوير وسائل الإعلام المحلية أمر مهم. اعمل على أن تجد السبل المناسبة لزيادة حرفية وسائل الإعلام المحلية وتعريضها لمعايير الشفافية وأساليب التحرير القائمة على الحقائق.

أفغانستان ليست العراق. هناك اختلافات جوهرية بين المجتمعات والثقافات العربية والباشتونية. وقد ركزت أنظمة تدريب وحداتنا ومقرراتنا الدراسية بشكل كبير جداً على العراق لسنوات، وفشلنا في أن نعكس على نحو فعال الاختلافات الجوهرية بين المجتمعات العربية والباشتونية.

استبعد الوجوه الأمريكية من أمام الميكروفون. شرعية الحكومة لا تنمو وتتطور عندما نجد أن كل حفل افتتاح كبير لمدرسة، أو جسر، أو عيادة صحية، أو مبادرة حكومية، أو افتتاح أي طريق يتم تحت الرعاية الصاخبة للحكومة الأمريكية أو المجتمع الدولي. فلتنتح جانباً ودع مسؤولي الحكومة المحلية يأخذون رصيدهم من التقدير. اعمل على تعزيز شرعية الحكومة في كل خطوة من خطوات عملية التخطيط والتنفيذ. **ميليتاري ريفيو**

ملاحظات هامشية

1. لمناقشة المهارات الإنسانية في مقابل المهارات التكنولوجية المحضة، راجع توماس إكس. هامز، المقلاع والحجارة (مينيابوليس، مين: مطبعة زينيث، 2006)، 106.

2. راجع كتاب ديف كيلكولين الحديث الغوريلا العَرَضية: خوض حروب صغيرة وسط حرب كبيرة (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2009)، 77-82. يصف كيلكولين بشكل تام الحكم المتشابك المعقد، والنفوذ القبلية والتأثيرات الدينية على السكان بالإضافة إلى الحالة الراهنة لنفوذ طالبان.

3. توجد نفس الديناميكية تماماً في حالة الخدمات البيطرية، حيث إن الماشية تعد جزءاً متكاملاً من التكوين الريفي للسكان.

4. راجع "كتيب كونار" لمارينا كيبلبينسكي، آي دي إس إنترناشونال، 2008، و «استراتيجية الحكومة الأمريكية من أجل كونار» - وهو بحث كتب لمكتب الاستقرار وإعادة الاعمار بوزارة الخارجية الأمريكية بالتعاون مع فريق إعادة الاعمار الإقليمي بكونار. وكلا هذين الموردين الممتازين يقدمان تفاصيل عن التفاعلات المعقدة الموروثة في إقليم كونار ويعدان دليلاً على وجود تعقيدات مماثلة في أقاليم أخرى.

5. الكتيب الميداني 3-24، الفقرة A-19 تشير إلى أنه يتعين على القادة أن ينظروا إلى ما وراء الرتبة والمنصب داخل هيئاتهم لكي يكتشفوا أصحاب الموهبة للاستفادة بهم في حملة مكافحة التمرد.

6. إم جي روبرت سكاليس "حرب التركيز على الثقافة" من أعمال معهد البحرية الأمريكية، تشرين الأول/ أكتوبر 2004، 26-32.

7. ميوموتو موشاهسي، كتاب الحلقات الخمسة: الدليل الكلاسيكي للاستراتيجية، ترجمه من اللغة اليابانية فيكتور هاريس. (مطبعة ذى أوفرلوك، ومطبعة وودستوك، 1974)، 81.

8. تعبير تم استعارته من السياسة العامة المحلية.

9. راجع كيلكولين، الفصل 2، لمناقشة مقنعة حول أوجه القصور في توفير فرص تدريب لمكافحة التمرد لقوات الأمن الأفغانية.

10. راجع ورقة عمل معهد السلام الأمريكي «تأمين أفغانستان: السير على الطريق الصحيح»، كانون الأول/ يناير 2009، بقلم كريستين فير وسيث جونز من راند كوربوريشن، لمناقشة جادة حول أهمية تطوير قوات أمن أهلية للمشاركة في جهود مكافحة التمرد. وهذه الورقة تحدد أيضاً أموراً مهمة فيما يتعلق بالأنظمة المعقدة العاملة في حالة التمرد، والتحديات التي يواجهها الحكم، مع الأخذ في الاعتبار السياسات المالية الضعيفة، والطبيعة المحلية للمشاكل الموجودة في هذا المجتمع. راجع أيضاً مكافحة التمرد في الحرب الحديثة لدانيال مارستون وكارتر مالكاسيان (المملكة المتحدة: مؤسسة أوسبري للنشر، 2008)، الفصل 12، ولمناقشة التحديات التي يواجهها المجتمع الدولي في تطوير قوات الأمن الوطنية الأفغانية.

Thoughts on the Battle for the Mind: IO and COIN in the Pashtun Belt
Commander Larry LeGree, U.S. Navy
Originally published in the English September-October 2011 Edition.